كل ما تريد معرفته عن:

جـابـر القـصـاص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، سبحانه بهرت عظمته قلوب العارفين، وظهرت بدائع خلقه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأرساها، وأرسل الرياح فأجراها، ورفع السماء بلا عمد فأعلاها، وبسط الأرض ودحاها، سبحانه يخافه العارفون، ويرجوه التائبون، ويحبه العابدون، {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [البقرة: ١١٦].

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، وكل شيء إليه يصير، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رسول الإنسانية، ومعلم البشرية، أرسله الله إلى الناس كافة هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، هو إمام النبيين، وسيد الأولين والآخرين، صلاة وسلامًا عليه دائمين متلازمين إلى يومين الدين.

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله.. إن الإسراء والمعراج من أعظم معجزات نبينا مُحَمَّد ﷺ، وأكثرها إثارة للإنكار والجدل، ولهذه المعجزة الكثير من الدلالات والعبر، كما أنها اقترنت بحدث عظيم في التشريع الإسلامي، ألا وهو فرض الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام.

كما أن هذه الحادثة لا تزال تشهد جدلًا واسعًا على تفاصيلها، وكثر فيها الخلاف والتساؤلات: هل كانت يقظة أم منامًا؟ وهل وقعت مرة واحدة أم أكثر؟

وأي التفاصيل التي سيقت عنها صحيحة، وأيها مختلق؟

فأردنا أن نلقي مزيدًا من الضوء عليها، لنجيب – بعون الله تعالى – عن هذه التساؤلات، ونزيل بعض الشبهات، ونبسط الأمر لعامة الناس، ونؤكد على عظمة تلك المعجزة، والله الموفق.

***

معنى الإسراء والمعراج

أما الإسراء: فهو من السرى، وهو السير ليلاً، قال ابن منظور: "وسريتُ سُرىً ومسرىً وأسريت، بمعنى: إذا سرت ليلاً"(١)، قلت: وذكر الليل في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} [الإسراء: ١]، جاء للتأكيد، وإلا فإن لفظة (أسرى) دالة عليه وحدها دون الحاجة لذكره، إلا على سبيل التأكيد.

وأما المعراج: فهو السير صعودًا لأعلى، قال القرطبي: "عرج يعرج أي: صعد. والمعارج: المصاعد"(٢).

وقال الراغب: "العروج: ذهاب في صعود. قال تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ} [المعارج: ٤]"(٣).

قلت: وعلى هذا يكون (الإسراء): هو الرحلة النبوية الأرضية من مكة إلى بيت المقدس، و(المعراج): هو الرحلة السماوية من بيت المقدس إلى السموات العلا. والله الموفق.

***

---

(١) لسان العرب: (١٤/ ٣٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٨).

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص (٥٥٧).

هل كان الإسراء والمعراج معًا في ذات الليلة؟

أخرج ابن سعد في طبقاته من طريق الواقدي: عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة، وغيره من رجاله، قالوا: كان رسول الله ﷺ يسأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، ورسول الله ﷺ نائم في بيته ظهرًا، أتاه جبريل وميكائيل فقالا: انطلق إلى ما سألت الله ..... إلى آخر ما قال. ثم ساق بعده خبرًا آخر عن الواقدي أيضًا يرويه عن أم سلمة وعائشة وأم هانئ وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، قالوا: أسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس(١).

قلت: وهذا الذي زعمه الواقدي يفيد أن المعراج وقع أولًا منفردًا بدون الإسراء، ثم تلاه الإسراء منفردًا بعد ذلك بأشهر، لكن ما عليه الجمهور أن الإسراء والمعراج حدثا معًا في ليلة واحدة، من بعد صلاة العشاء حتى قبيل الفجر، وهذا هو الصحيح، قال الحافظ: "وقد وقع في ذلك اختلاف: فقيل: كانا في ليلة واحدة في يقظته ﷺ، وهذا هو المشهور عند الجمهور، وقيل: كانا جميعًا في ليلة واحدة في منامه، وقيل وقعا جميعًا مرتين في ليلتين مختلفتين، إحداهما يقظة والأخرى منامًا، وقيل: كان الإسراء إلى بيت المقدس خاصة في اليقظة، وكان المعراج منامًا إما في تلك الليلة أو في غيرها.."(٢)

---

(١) الطبقات الكبرى: (١/ ٢٠١٣).

(٢) فتح الباري: (١ / ٤٥٩- ٤٦٠).

وقال في موضع آخر: "وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة، فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك.."[١]

ثم قال: "ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء في ليلة واحدة: رواية ثابت عن أنس عند مسلم، ففي أوله: (أتيت بالبراق، فركبت حتى أتيت بيت المقدس..) فذكر القصة إلى أن قال: (ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا..)[٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري عند ابن إسحاق: (فلما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج..) فذكر الحديث[٣]، ووقع في أول حديث مالك ابن صعصعة: أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، فذكر الحديث..

فهو وإن لم يذكر فيه الإسراء إلى بيت المقدس، فقد أشار إليه، وصرح به في روايته فهو المعتمد.."[٤]

***

---

(١) فتح الباري: (٧ / ١٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٢) مطولًا.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٤٠٣).

(٤) فتح الباري: (٧ / ١٩٨).

هل كان الإسراء والمعراج مرة واحدة، أم أكثر؟

– ذهب بعض أهل العلم إلى أن الإسراء والمعراج وقعا مرتين: مرة في المنام توطئة وتمهيدًا، ومرة ثانية في اليقظة، قال الحافظ: "فإن ثبت أن المعراج كان منامًا – على ظاهر رواية شريك عن أنس – فينتظم من ذلك أن الإسراء وقع مرتين، مرة على انفراده، ومرة مضمومًا إليه المعراج، وكلاهما في اليقظة، والمعراج وقع مرتين: مرة في المنام على انفراده توطئة وتمهيدًا، ومرة في اليقظة مضمومًا إلى الإسراء"(١)اهـ.

– وزعم آخرون أنهما وقعا أكثر من مرتين، قال ابن كثير: "ومنهم من يدعي تعدد الإسراء في اليقظة أيضًا، حتى قال بعضهم: إنها أربع إسراءات، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة – رحمه الله – أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد، فجعل ثلاث إسراءات، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضًا لحديث حذيفة، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات.."(٢)

---

(١) فتح الباري: (٧/ ١٩٨).

(٢) البداية والنهاية: (٣/ ١٤٢).

– والقول الثالث وهو الأثبت والأشهر والأظهر: أنهما وقعا مرة واحدة في اليقظة، وهو الذي عليه جماهير أهل العلم، قال الحافظ: "وإنما المستبعد وقوع التعدد في قصة المعراج التي وقع فيها سؤاله عن كل نبي، وسؤال أهل كل باب هل بعث إليه، وفرض الصلوات الخمس، وغير ذلك، فإن تعدد ذلك في اليقظة لا يتجه.."[1].

وقال ابن كثير: "كل السياقات فيها السلام على الأنبياء، وفي كل منها يعرفه بهم، وفي كلها يفرض عليه الصلوات. فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم."[2]

وقال ابن القيم: "والصواب الذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة. ويا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارًا، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسًا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرًا عشرًا!!"[3].

***

---

(١) فتح الباري: (٧ / ١٩٨).

(٢) البداية والنهاية: (٣/ ١٤٥).

(٣) زاد المعاد: (٣ / ٣٨).

هل كان الإسراء والمعراج يقظة أم منامًا؟

وهي المسألة التي اختلفوا فيها قديمًا، ولا يزال الخلاف عليها جاريًا، وفيه أربعة أقوال:-

- أن الإسراء والمعراج كليهما كان منامًا.
- أن الإسراء كان يقظة، بينما المعراج كان منامًا.
- أن الإسراء والمعراج وقع كلاهما مرتين: مرة منامًا، ومرة يقظة.
- أن الإسراء والمعراج كليهما وقعا حقيقة، في اليقظة.

وهذا القول الأخير هو الذي عليه جماهير أهل العلم. قال القاضي عياض: "وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري، وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين.."[1].

---

(١) الشفا: ص (١٨٨-١٨٩)، وانظر أيضًا: تفسير القرطبي: (١٠/ ٢٠٨).

وقال أيضًا: "والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة.." وبنحوه قال القرطبي.

وقال الحافظ: "الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة، في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل.."[١]

وقال النووي: "والحق الذي عليه أكثر الناس، ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسرى بجسده ﷺ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل."[٢]

***

---

(١) فتح الباري. (٧ / ١٩٧).

(٢) شرح صحيح مسلم: (٢/ ٣٩٠).

- أن المولى عز وجل بدأ ذكر السياق عن الإسراء بالتسبيح، قال جل شأنه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء: ١]، قال ابن كثير: "والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة، فدل على أنه بالروح والجسد"(١).

- قوله تعالى: {بِعَبْدِهِ}، وهذا يشمل الروح والجسد معًا، قال القاضي عياض: "إذ لو كان منامًا لقال: (بروح عبده) ولم يقل: بعبده"(٢).

وقال ابن كثير: "فدل على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما."(٣)

- التأكيد بقوله: {لَيْلًا}، وقد كان قوله: {أَسْرَى} مبينًا لكونه ليلًا، لكن جاءت هذه اللفظة لتأكيد الوقوع، ولو كان منامًا لما احتيج لهذا التأكيد.

- افتتان الناس بخبر الإسراء والمعراج، قال القرطبي: "ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما قالت له أم هانئ: (لا تحدث الناس فيكذبوك)، والأفضل أبو بكر بالتصديق، ولما أمكن قريش التشنيع والتكذيب، وقد كذبته قريش فيما أخبر به حتى ارتد أقوام كانوا آمنوا، فلو كان بالرؤيا لم يستنكر"(٤).

---

(١) البداية والنهاية: (٣ / ١٤٠).

(٢) الشفا: ص (١٨٩).

(٣) البداية والنهاية: (٣ / ١٤٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ٢٠٨- ٢٠٩).

وقال ابن كثير: "فلو كان منامًا لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له، إذ ليس في ذلك كبير أمر، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا منامًا."[1]

وقال السهيلي: "ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن أسلم، وقال الكفار: يزعم مُحَمَّد أنه أتى بيت المقدس، ورجع إلى مكة ليلته، والعير تطرد إليها شهرًا مقبلة وشهرًا مدبرة، ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم هذا، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء، وفي المشرق والمغرب، فلا يستبعد منه ذلك"[2].

– ومن الأدلة أيضًا سؤال قريش الأدلة على صدق خبره، فذكر لهم معالم بيت المقدس، وشأن العير التي كانت لهم عائدة، ولو كان الأمر منامًا لما احتاجوا لسؤاله ذاك، فإن الناس لا يطلبون دليلًا على صدق منام، ولو كانوا مكذبين إياه! والله الموفق.

***

---

(١) البداية والنهاية: (٣/ ١٤٠– ١٤١).

(٢) الروض الأنف: (٣/ ٢٥٧).

– ما حكاه ابن إسحاق عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه. وكذا روى عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة.

قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما، لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك، قول الله تبارك وتعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]، ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام: {إِذ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُك} [الصافات: ١٠٢]، ثم مضى على ذلك. فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونيامًا"[(١)].

والجواب: أن أم المؤمنين عائشة ﵂ كانت صغيرة وقت هذه الواقعة، لا تعيها، ثم إنه قد ورد عنها ما يخالف ذلك من الإيمان بأنها حقيقة ويقظة، قال القاضي عياض: "فإن الإسراء كان في أول الإسلام – على قول الزهري ومن وافقه – بعد المبعث بعام ونصف، وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام، وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة، وقيل قبل الهجرة بعام، والأشبه أنه لخمس.."

---

(١) السيرة النبوية: (١/ ٣٩٩– ٤٠٠).

ثم قال: "بل الذي يدل عليه صحيح قولها إنه بجسده، لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين، ولو كانت عندها منامًا لم تنكره"[(١)].

وقال القرطبي: "وقد اعترض قول عائشة ومعاوية (إنما أسري بنفس رسول الله ﷺ) بأنها كانت صغيرة لم تشاهد، ولا حدثت عن النبي ﷺ. وأما معاوية فكان كافرًا في ذلك الوقت غير مستشهد للحال"[(٢)].

- ومما احتجوا به أيضًا: قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]، قالوا: الرؤيا – بالألف – تكون رؤيا منام لا يقظة، ولو كانت باليقظة لكانت (رؤية) لا (رؤيا).

والجواب: اللغة لا تمنع من إطلاق لفظ (الرؤيا) على رؤية العين لاتحادهما في الأصل، قال السمعاني: "وأما ذكر الرؤيا بمعنى الرؤية هاهنا يجوز؛ لأنهما أخذا من معنى واحد."[(٣)].

وقال الرازي: "قال الأكثرون: لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال رأيت بعيني رؤية ورؤيا"[(٤)].

وقال ابن منظور: "وقد جاء الرؤيا في اليقظة؛ قال الراعي:-

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسًا كان قبل يلومها

---

(١) الشفا: (١/ ١٩٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٠ / ٢٠٩).

(٣) تفسير السمعاني: (٣ / ٢٥٤).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٠ / ٣٦١).

وعليه فسر قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]؛ قال: وعليه قول أبي الطيب: (ورؤياك أحلى، في العيون، من الغمض)"[١].

قلت: وثمة تأويل آخر لها، قال الزمخشري: "ومن قال: كان في اليقظة، فسر الرؤيا بالرؤية. وقيل: إنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له: لعلها رؤيا رأيتها، وخيال خيل إليك، استبعادًا منهم، كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة، نحو قوله: {فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ} [الصافات: ٩١]، {أَيْنَ شُرَكَائِيَ} [النحل: ٢٧].."[٢]

قلت: وقوله تعالى: {فِتْنَةً لِلنَّاسِ} ينفي كونها رؤيا منام، إذ لو كانت كذلك لما كانت فتنة لهم، لأن المنام لا يستنكر مهما أغرب، قال ابن عطية: "وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها"[٣].

- واحتجوا أيضًا بقوله تعالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١]، قالوا: هذا يقطع بأنها رؤية قلبية لا عينية، أي منام لا يقظة.

وليس فيه حجة، فقد أثبت الله تعالى الرؤية العينية أيضًا في نفس الواقعة، فقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٧، ١٨]، قال القاضي عياض: "{ما كذب الفؤاد ما رأى} أي: لم يوهم

---

(١) لسان العرب: (١٤ / ٢٩٧).

(٢) الكشاف عن غوامض التنزيل: (٢ / ٦٧٦).

(٣) المحرر الوجيز: (٣ / ٤٦٨).

القلب العين غير الحقيقة، بل صدق رؤيتها، وقيل: ما أنكر قلبه ما رأته عينه."[١]

- تعلقوا ببعض الألفاظ في بعض روايات الحديث تفيد أنه كان منامًا، وأهمها: ما جاء في رواية شريك عن أنس ﷺ: "واستيقظ وهو في المسجد الحرام"[٢].

والجواب: كما قال الحافظ ابن كثير: "معدود في غلطات شريك، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة، كما سيأتي في حديث عائشة ﵂ حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه، قال: (فرجعت مهمومًا فلم أستفق إلا بقرن الثعالب)[٣]، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنكه، فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ، واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه، فقالوا: رفع، فسماه المنذر[٤]. وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم."[٥]

---

(١) الشفا: (١ / ١٩٥).

(٢) رواه البخاري (٧٥١٧)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٣٣).

(٣) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥)، عن أم المؤمنين عائشة ﵂.

(٤) رواه البخاري (٦١٩١)، ومسلم (٢١٤٩)، عن سهل بن سعد ﷺ.

(٥) البداية والنهاية: (٣/ ١٤١).

قلت: وقد نبه العلماء على غلط شريك في روايته، وعلى رأسهم الإمام مسلم، فإنه ساق الحديث عن أنس من رواية ثابت البناني عنه، ثم قال: "حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك، يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر – قبل أن يوحى إليه – وهو نائم في المسجد الحرام، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئًا وأخر وزاد ونقص"(١).

قلت: وقوله: "قبل أن يوحى إليه" من هذه الأغلاط. إذ كيف تفرض عليه الصلاة وتخفف قبل أن يوحى إليه؟

وتعلقوا أيضًا بما جاء في ذات الرواية: "أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ....." ثم ساق الحديث. وهذا ليس فيه حجة أيضًا، فإنه نص على أنه كان نائمًا حين جاء إليه الملك، لا بعد ذلك.

– وأخيرًا: تعلق من ذهب منهم إلى أن الإسراء كان يقظة، بينما المعراج كان منامًا، بأن المشركين شككوا في أمر الإسراء فحسب، وطلبوا الآيات والبراهين عليه، فقد سألوه أن يصف لهم بيت المقدس، ولم يبالوا بالمعراج – رغم أنه أغرب وأبعد عن التصور – لأنه منام يجوز فيه أي شيء.

والجواب: كون المشركين لم يشككوا إلا في الإسراء فحسب غير مسلَّم به، فإنهم شككوا في القصة كلها، لكن جاء سؤالهم عن المسرى والبرهان عليه لأنه

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ١٤٨).

لا يوافق ما ألفوه وخبروه من رحلتهم إلى بيت المقدس، ومعرفتهم ببعد المسير إليه، ويمكن الاستدلال عليه بأوصاف المسجد الأقصى من خلال المشاهدة، أما المعراج فلا علم لهم بما في السموات، ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء فيه عندهم. والله تعالى أعلم.

علاوة على أن المعراج هو المقصود الأعظم من الرحلة، وإنما بدئت بالإسراء لأنه يمكن إثباته بالبراهين العقلية المعروفة لهم، أو من أجل إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند[1].. والله الموفق.

***

(١) انظر: فتح الباري: (٧/ ٢٠١).

متى وقعت حادثة الإسراء والمعراج؟

اختلف أهل العلم في ذلك اختلافًا كبيرًا، وتباينت مقالاتهم تباينًا عظيمًا، وكان اختلافهم على وجهين: تحديد السنة التي وقع فيه، وكذا تحديد الشهر.

فأما السنة، فقد جاءت أقوالهم كالآتي:-

- قيل: بعد البعثة بخمسة عشر شهرًا، ذكره ابن رجب وعقب عليه قائلاً: وهذا بعيد جدًا[١].

- وقيل: بعد المبعث بثمانية عشر شهرًا، قاله الزهري، وإليه ذهب أبو بكر ابن القاسم الذهبي في تاريخه[٢].

- وقيل: بعد البعثة بخمس سنين[٣].

- وقيل: قبل الهجرة بخمس سنين، أي: في السنة الثامنة من البعثة، ورجحه القاضي عياض[٤].

- وقيل قبل الهجرة بثلاث سنوات، حكاه ابن الأثير[٥].

---

(١) فتح الباري لابن رجب: (٢/ ٣٠٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٠)، والشفا (١/ ١٩٤).

(٣) فتح الباري لابن رجب: (٢/ ٣٠٧).

(٤) الشفا: (١/ ١٩٤).

(٥) فتح الباري لابن رجب: (٢/ ٣٠٧)، وفتح الباري لابن حجر: (٧/ ٢٠٣).

– وقيل: قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا. وقريبًا منه: قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، قاله السدي، وأخرجه من طريقه الطبري والبيهقي، وذكره ابن قتيبة، وابن عبد البر، وابن أبي سبرة[١].

– وقيل: قبلها بسنة وثلاثة أشهر، حكاه ابن فارس[٢].

– وقيل: قبل الهجرة بسنة وشهرين، حكاه ابن عبد البر، وقريب منه: سنة وثلاثة أشهر، قاله النووي جازمًا في الروضة[٣].

– وقيل قبل الهجرة بسنة واحدة، قاله إبراهيم الحربي والسدي، وابن سعد والواقدي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه وهو مردود، ورجحه ابن المنير في شرح السيرة لابن عبد البر، وهو المروي عن الزهري وعروة[٤].

– وقيل: قبل الهجرة بثمانية أشهر. حكاه ابن الجوزي[٥].

– وقيل قبل الهجرة بستة أشهر. قاله أبو الربيع بن سالم[٦].

هذا ما تيسر لنا جمعه من كلام العلماء، في هذه المسألة.

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (٧/ ٢٠٣).

(٢) السابق: (٧/ ٢٠٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر: (٧/ ٣٠٢)، روضة الطالبين: (١٠/ ٢٠٦).

(٤) الشفا: (١/ ١٩٤)، فتح الباري لابن رجب: (٢/ ٣٠٧)، فتح الباري لابن حجر: (٧/ ٢٠٣)، البداية والنهاية: (٣/ ١٣٥).

(٥) فتح الباري لابن حجر: (٧/ ٢٠٣).

(٦) فتح الباري لابن رجب: (٢/ ٣٠٧)، فتح الباري لابن حجر: (٧/ ٢٠٣).

والمشهور أن حادثة الإسراء كانت في عام الحزن، وهو العام الذي توفي فيه أبو طالب عم النبي ﷺ وزوجه خديجة رضي الله عنها، على سبيل التسلية له، والمشهور – على ما فيه من الخلاف – أن وفاتهما كانت في السنة العاشرة من البعثة، أي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وهو ما قرره ابن إسحاق، وأورده ابن سعد في طبقاته عن عروة وغيره: أن خديجة توفيت لعشر خلون من شهر رمضان، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين(١).

وساق رواية عن حكيم بن حزام رضي الله عنه يقول: توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة، وهي يومئذ بنت خمس وستين، ودفناها بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، وذلك قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها، وبعد خروج بني هاشم من الشعب، ولم تكن سنة الجنازة الصلاة عليها(٢).

وقال الحافظ: "وماتت على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين في شهر رمضان، وقيل: بثمان، وقيل: بسبع، فأقامت معه ﷺ خمسًا وعشرين على الصحيح، وقال ابن عبد البر: أربعًا وعشرين سنة وأربعة أشهر، وسيأتي من حديث عائشة ما يؤيد الصحيح في أن موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، وذلك بعد المبعث على الصواب بعشر سنين"(٣).

---

(١) السيرة: (١/ ٤١٦)، والطبقات (٨/ ١٨).

(٢) الطبقات: (٨/ ١٨).

(٣) فتح الباري: (٧ / ١٣٤).

واختلف في أيهما مات أولًا، لكنه لا يؤثر في المسألة، إذ أنهما ماتا معًا في ذات السنة، ووقعت حادثة الإسراء بعدها، مما يشير إلى أنها كان في السنة العاشرة من البعثة، وقبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وإن كان ابن سعد ساق رواية الواقدي عن جمع من الصحابة قالوا: "أسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة"(١).

لكن الواقدي ليس بثقة في الحديث، فالأمر يتأرجح بين القولين، والله تعالى أعلم.

***

وأما الشهر الذي وقعت فيه فجاء فيه الآتي:-

- قال إبراهيم الحربي: الإسراء كان في ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر. ورجحه ابن المنير في شرح السيرة لابن عبد البر(٢).

- وقيل: كان في ربيع الأول، وجزم به الواقدي، وهو ما قدمناه قريبًا من رواية ابن سعد عن أم سلمة، وعائشة، وابن عباس، وأم هانئ ﷺ، وقرره السدي، وهو المأثور عن الزهري وعروة، وكذا ذهب إليه ابن قتيبة وابن أبي سبرة..

وقال ابن كثير: "وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان عن سعيد ابن مينا عن جابر وابن عباس قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني

---

(١) الطبقات: (١/ ٢١٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ٢١٠)، وفتح الباري: (٧/ ٢٠٣).

عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات. فيه انقطاع"[1].

قلت: ولم أقف عليه في تصانيف ابن أبي شيبة، ولو صح لكان حاسمًا.

– وقيل: كان في رجب، حكاه ابن عبد البر، وجزم به النووي، فقال: "ليلة الإسراء بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر، ليلة سبع وعشرين من رجب"، وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته، وأورد حديثًا لا يصح سنده[2].

– وقيل: إنه كان في رمضان، وهو ما نقله ابن سعد عن الواقدي: أنه كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا[3]، ويلاحظ أن الواقدي – فيما رواه عنه ابن سعد – فرق بين الإسراء والمعراج في الزمن، وجعل المعراج سابقًا في شهر رمضان، والإسراء في ربيع الأول بعده، وهذا خلاف الصحيح.

– وقيل: كان في ذي القعدة، وهو مقتضى كلام السدي على حساب الشهور، وربما يقتضى أنه في ذي الحجة، وبه جزم ابن فارس[4].

---

(١) البداية والنهاية: (٣/ ١٣٥)،فتح الباري لابن رجب: (٢/ ٣٠٨)، ولابن حجر: (٧/ ٢٠٣).

(٢) روضة الطالبين: (١٠/ ٢٠٦)، البداية والنهاية: (٣/ ١٣٥).

(٣) الطبقات: (١/ ٢١٣).

(٤) البداية والنهاية: (٣/ ١٣٥)، وعمدة القاري: (٤/ ٣٩).

ونخلص من هذا الخلاف: إلى أن وقت حدوث معجزة الإسراء والمعراج غير معين، والقول بأنه في ربيع الأول هو الأقرب والأشبه، وعليه الأكثرون. والله تعالى أعلم.

ونخلص منه أيضًا: إلى أن الشرع لم يخص يوم – أو ليلة – الإسراء والمعراج بأي عبادة مخصوصة، إذ لو خصص لها عبادة ما لعيّن وقتها، ولما لم يعيّن الشارع وقتها عُلم أنها غير مقترنة بعبادة أو عمل أو طاعة مخصوصة، وكذلك لم يرد عن سلف الأمة أنهم اهتموا بتعيينها، أو مارسوا شيئًا من العبادات والطاعات، وكل ما يمارسه بعض الناس في القرون المتأخرة احتفاء بهذه المناسبة في موعدها – غير المعين – هو من قبيل البدع المحدثة، نسأل الله التوفيق والسداد، ونعوذ به من الخذلان.

***

وقائع الإسراء والمعراج

إن حادثة الإسراء تمتلئ بالعجائب والتفاصيل المهمة، وقد تعددت سياقات الحادثة باختلاف الرواة من الصحابة، ومن روى عنهم، فقد وردت أخبارها عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وأبي ذر الغفاري، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي بن كعب، وبريدة، وجابر، وحذيفة، وشداد بن أوس، وسهيب، وعبد الرحمن بن قرط، وابن عباس وابن عمر، وابن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وأم هانئ، ﷺ أجمعين. وقد سيقت أخبارها ما بين مختصرة ومطولة، وتباينت ألفاظها فيما بين رواتها بحسب حفظ كل منهم، وبحسب من تلقى عنه الرواية، وسوف نحاول استخلاص وقائع الحادثة من بين جميع السياقات، والله الموفق.

– أول ما تبدأ به الحادثة: شق صدر النبي ﷺ عند البيت الحرام، وهي ثابتة فيما رووه عن أنس ﷺ، حيث جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فشق من نحره إلى أسفل بطنه، فاستخرج قلبه، فغسله بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانًا وحكمة، وذلك على سبيل التهيئة لتلك الرحلة الربانية السماوية، وهي واقعة حدثت له ﷺ في صغره أيضًا، كما روى أصحاب السير[1].

---

(١) ثبتت واقعة شق الصدر في الإسراء في أخبار عدة، أبرزها حديث أنس عن مالك ابن صعصعة رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما: رواها البخاري (٣٢٠٧) – (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

– ثم أتاه جبريل عليه السلام بالبراق، جاء وصفه في الحديث بأنه: "دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه"[(١)]، أي: يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره، وقيل: سمي بالبراق اشتقاقًا من البرق، يعني لسرعته، وقيل: سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه. وقيل غير ذلك[(٢)].

ولم يثبت أن للبراق جناحين إلا عن الواقدي، فيما رواه عنه ابن سعد[(٣)]، ومُحَمَّد بن السائب الكلبي فيما رواه عنه الثعلبي[(٤)]، وكلاهما ليس بثقة، ولم يجئ ذكر الجناحين في أيٍّ من الروايات الصحيحة، والله أعلم.

وكذلك وصفه – فيما رواه الثعلبي عن الكلبي – بأنه: "خدّه كخد الإنسان، وذنبه كذنب البعير، وعرفه كعرف الفرس، وقوائمه كقوائم الإبل، وأظلافه كأظلاف البقر، وصدره كأنه ياقوتة حمراء، وظهره كأنه درة بيضاء، عليه رحل من رحائل الجنة...". لا يصح منه شيء، والله أعلم. وجاء في بعض طرق الحديث أن البراق استصعب عليه، فقال له جبريل عليه السلام: "أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه"، فارفضّ عرقًا[(٥)].

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم: (٢ / ٢١٠)، وفتح الباري (٧/ ٢٠٦).

(٣) الطبقات: (١/ ٢١٣). (٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (٦/ ٥٦).

(٥) رواه الترمذي (٣١٣١)، وأحمد (١٢٦٧٢)، وأبو يعلى (٣١٨٤)، وابن حبان (٤٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (١٥٣٣)، والآجري في الشريعة (١٠٢٨)، عن أنس رضي الله عنه.

والبراق مركب النبيين عليهم السلام، وقد حمل نبينا ﷺ إلى بيت المقدس، وربطه جبريل في حلقة هنالك، قال الحافظ: "قيل: الحكمة في الإسراء به راكبًا – مع القدرة على طي الأرض له – إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيسًا له بالعادة في مقام خرق العادة، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه"، وقال أيضًا: "والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه"[(١)].

– جاء في بعض طرق الحديث: أنه ﷺ التقى ببعض الأنبياء عليهم السلام في الطريق[(٢)]، وأنه نزل ليصلي في يثرب، ومدين، والطور، وبيت لحم[(٣)]، وهذا لا يصح أيضًا، لأن مداره على إسحاق الزبيدي، وهو مختلف فيه، وضعفه النسائي، وبه أعله الهيثمي.

والصواب: أنه التقى بالأنبياء في بيت المقدس، حيث أمهم في الصلاة، وغالب الروايات تشير إلى أن لقاءه ﷺ بالنبيين عليهم السلام وصلاته بهم كان قبل المعراج إلى السماء، في حين رجح الحافظ ابن كثير أنه كان بعد نزوله من المعراج، وقبل رجوعه إلى مكة، قال: "ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل – عندما يتقدم ذاك للسلام عليه –: هذا فلان فسلم عليه،

---

(١) فتح الباري: (٧/ ٢٠٦).

(٢) رواه ابن عرفة في جزئه (٦٩)، ولا يصح لانقطاع سنده، وجهالة أحد رواته.

(٣) رواه البيهقي في الدلائل: (٢/ ٣٥٥)، عن شداد بن أوس رضي الله عنه. وانظر: مجمع الزوائد: (١/ ٧٤).

فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية. ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة: أممتهم، ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إمامًا بهم"[1].

قلت: وقد يكون الجواب عن هاتين القرينتين: بأنه لقيهم في بيت المقدس مجموعين، وصلى بهم دون أن يعرفهم واحدًا واحدًا، واحتاج لأن يتعرفهم بأعيانهم في السموات، وأما الصلاة فليس لها بالضرورة أن تكون صلاة فريضة، ويحتمل أنه أممهم في نافلة لبيان شرفه وفضله عليهم ﷺ. والله تعالى أعلم.

– ونصت أكثر طرق الحديث على أن جبريل عليه السلام أتاه بأواني الخمر والماء واللبن في بيت المقدس قبل العروج إلى السماء، وفي بعضها: كان ذلك في بيت المقدس بعد نزوله، وفي بعضها: أنه كان في السماء بعد عروجه، والله أعلم أي ذلك كان، وإن كان الأشبه أنه قبل عروجه.

وفي كل الأحوال: قد اختار نبينا ﷺ اللبن، وصوّب جبريل عليه السلام اختياره.

– ثم كان العروج إلى السماء، ولم يكن هذا بالبراق على الصحيح، بل نصب له معراجًا يصعد عليه، وعند كل سماء كان يستفتح له جبريل عليه السلام، فيقال له: من أنت؟ ومن معك؟ فيجيب.

واختلف الروايات في ترتيب لقائه ﷺ بالأنبياء في السموات، وأرجح الأقوال: أنه التقى بآدم عليه السلام في الأولى، وبيحيى وعيسى عليهما السلام

---

(١) البداية والنهاية: (٣ / ١٣٩).

في الثانية، ويوسف عليه السلام في الثالثة، وإدريس عليه السلام في الرابعة، وهارون عليه السلام في الخامسة، وموسى عليه السلام في السادسة، وإبراهيم عليه السلام في السابعة.

وفي بعض الروايات: أن آدم عليه السلام كان على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال جبريل عليه السلام: "هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى"(١).. وأن يوسف عليه السلام أوتي شطر الحسن، وأن إبراهيم عليه السلام كان مسندًا ظهره إلى البيت المعمور.

– ومن مشاهداته ﷺ في السموات: البيت المعمور، وهو في السماء السابعة نظير الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه.

– ومن مشاهداته ﷺ: سدرة المنتهى بالسماء السابعة، وهي شجرة عظيمة، نبقها – أي: ثمرها – كأنه قلال هجر، وهي جرار معروفة في زمنهم، وورقها كأنه آذان الفيلة، وفي أصلها أربعة أنهار، وفي بعض طرقه: "فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتًا، أو زمردًا، أو نحو ذلك"(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩)- (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣)، عن أنس بن مالك، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما.

(٢) طرف من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، وقد تقدم تخريجه، والزيادة الأخيرة عند أحمد (١٢٣٠١).

وقيل: رآها بالسماء السادسة، وإذا قلنا بالترجيح: فكونها بالسابعة أظهر، وإن جنحنا إلى الجمع بين القولين: فيمكن أن نقول إن أصلها في السماء السادسة، وتمتد إلى ما فوق السماء السابعة، والله أعلم.

– ومن مشاهداته ﷺ: الأنهار في أصل سدرة المنتهى: وهم أربعة: نهران باطنان في الجنة، ونهران ظاهران هما النيل والفرات.

ورأى أيضًا نهر الكوثر في الجنة، جاء في صفته: أنه على حافتيه قباب اللؤلؤ مجوفًا، وآنيته كعدد النجوم، وطينه أو طيبه من المسك[1]، وشذت بعض الروايات فجعلته في السماء الدنيا، وبعضها جعله في الثالثة، والصحيح أنه في الجنة، في السماء السابعة.

– ومن مشاهداته ﷺ: رؤية جبريل عليه السلام على صورته، له ستمائة جناح[2].

– ومن مشاهداته ﷺ: الجنة والنار، وأصناف الناس فيهما، ومن ذلك: قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، وهم خطباء من أهل الدنيا، كانوا يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب[3]. ونعوذ بالله أن نكون منهم.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨١)، ومسلم (٢٣٠٣)، وغيرهما عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٢) ومواضع، ومسلم (١٧٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (١٢٢١١)، وابن أبي شيبة (٣٦٥٧٦)، وأبو يعلى (٣٩٩٢)، والطيالسي (٢١٧٢)، والطبراني في الأوسط (٤١١)، عن أنس رضي الله عنه.

وقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقيل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم[1]. نسأل الله العافية.

وأنه أتى على قوم يزرعون في يوم، ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال جبريل عليه السلام: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبع مائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه[2]. وغير ذلك.

- ومن مشاهداته ﷺ: ماشطة فرعون وأولادها، وهم الذين بطش بهم فرعون لما أظهرت الماشطة إيمانها بالله الخالق، ولها ابن رضيع تكلم في المهد، وقال لها: "يا أمه! اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة. فاقتحمت" أي ألقت بنفسها في الهلاك الذي أعده لها فرعون ولأولادها[3].

- ومن مشاهداته ﷺ: الدجال على هيئته، ضخم أبيض، له عين عوراء[4].

- ومن مشاهداته ﷺ: مالك خازن النار، نسأل الله السلامة والعافية[5].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (١٣٣٤٠)، والطبراني في الأوسط (٨)، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار (٩٥١٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٢٨٢١)، وأبو يعلى (٢٥١٧)، وابن حبان (٢٩٠٣)، والطبراني (١٢٢٧٩)، والحاكم (٣٨٣٥)، والبيهقي في الشعب (١٥١٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه أحمد (٣٥٤٦)، وأبو يعلى (٢٧٢٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه مسلم (١٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- وأعظم ما في جرى بالرحلة: فرض الصلاة، وقد فرضت خمسين في البداية، وقد طالبه موسى عليه السلام بسؤال ربه التخفيف، لأن أمته لا تطيق ذلك، وظل ﷺ يتردد بين ربه وموسى عليه السلام حتى استقرت على خمس صلوات في اليوم والليلة، بفضل الله ومنه، وهذا ثابت في أكثر طرق الحديث، والله الموفق.

***

* ***تنبيه حول حديث المنام***:-

روى البخاري وغيره عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: «ما شاء الله» فسألنا يوما فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا، قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم، بيده كلوب من حديد، إنه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق[1]..

---

(١) (كلوب): الحديدة التي ينشل بها اللحم ويعلق، (شدقه) جانب فمه، (يلتئم) يصح ويبرأ.

فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر – أو صخرة – فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه، قلت: من هذا؟ قالا: انطلق[1]..

فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق..

فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق..

فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب، ونساء، وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ، وشباب..

---

(١) (بفهر): أي بحجر ملء الكف. (فيشدخ): من الشدخ وهو كسر الشيء الأجوف. (تدهده) تدحرج، و(التنور): حجرة أو تجويف به نار يخبز أو يطبخ فيه، أشبه بالفرن.

قلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة.

والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة.

والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك".. الحديث[1]..

وهذا الحديث مما جعل بعض أهل العلم – ومنهم الحافظ ابن حجر رحمه الله – يقولون: إن الإسراء وقع مرارًا باليقظة والمنام[2]، وكثير من الناس يخلط بينه وبين أحاديث المعراج، فيسوق ما وقع به من مشاهدات في سياق أخبار المعراج، وفي هذا نظر، فإن المعراج وقع في مكة قبل الهجرة بلا خلاف بين

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٦) ومواضع، ومسلم مختصرًا دون ذكر المشاهدات (٢٢٧٥)، ورواه أحمد مطولًا (٢٠٠٩٤) ومواضع، وابن أبي شيبة (٣٠٤٨٦)، وابن حبان (٦٥٥)، والطبراني (٦٩٨٤)، وغيرهم.

(٢) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٤٤٥).

أهل العلم، بينما هذا الحديث وقع بالمدينة، حيث يرويه سمرة عن النبي ﷺ، وسمرة رضي الله عنه من صغار الصحابة، وكان إسلامه بالمدينة بعد الهجرة، ورده النبي ﷺ يوم أحد لصغر سنه، ثم عاد وأجازه بعد ذلك فشهدها[1].

وهذا الحديث من قبيل الرؤيا المنامية، كما جاء مصرحًا به في أوله، بينما المعراج كان يقظة على الصحيح والثابت عن جماهير أهل العلم على النحو الذي بيناه آنفًا، وقد يكون مفهومًا ومقبولًا أن تأتي الرؤيا المنامية أولًا سابقة لليقظة، على سبيل التوطئة والتهيئة، وتثبيت الفؤاد، كما حدث في شأن النبوة، فإن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، كما صرحت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[2]، أما أن يحدث المعراج يقظة، ثم يأتي منامًا فما معناه؟

وأما ما وقع بهذا الحديث من مشاهدات فإنها حق لأن رؤى الأنبياء وحي، كما هو معروف وثابت عن عموم أهل العلم، والله الموفق والمستعان.

***

---

(١): انظر الإصابة: (٣/ ١٥٠).

(٢) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

هل رأى النبي ﷺ ربه تلك الليلة؟

وقع في رواية شريك أن النبي ﷺ رأى ربه، وذلك عند قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم: ٨، ٩]، إلى قوله: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم: ١٣، ١٤] وقد خطأه الحفاظ في هذا، وقالوا: إنما عنى جبريل عليه السلام بالرؤية، وقد أنكرت رؤيته ربه عز وجل أم المؤمنين عائشة، وابن مسعود، وأبو هريرة، ﭫ أجمعين، وتبعهم جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، ونقل الدارمي إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، بينما اختلفت الرواية عن أبي ذر وابن عباس ﭫ.

وقد ذهب جماعة من العلماء – منهم القاضي عياض وأبو عبد الله القرطبي وأبو زكريا النووي وابن كثير – إلى أن رؤية النبي ﷺ ربه – عز وجل – في الدنيا جائزة عقلًا، وليس في العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى ﷺ إياها، وذلك حين قال: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣]، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، لكنهم مع ذلك توقفوا عن الجزم في المسألة، وقالوا: ليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة[1].

---

(١) انظر: الشفا: (١/ ١٩٨).

وقال آخرون ما معناه: أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم، وكونها متغيرة عرضًا للآفات والفناء، فلم تكن لهم قوة على الرؤية، فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبًا آخر، ورزقوا قوى ثابتة باقية، وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية، قال القاضي عياض: "وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال: لم يُر في الدنيا لأنه باقٍ، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصار باقية رئي الباقي بالباقي، وهذا كلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه"(١).

قلت: وهؤلاء المجيزون للرؤية لم يجزموا بوقوعها، وإنما أجازوا وقوعها، ونفوا استحالتها، وقد اعترض بعضهم على إنكار أم المؤمنين عائشة ﵂ بأن إنكارها يستند إلى تأولها القرآن، كقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣]، ليس استنادًا إلى حديث مرفوع، وردوا على تأولها، قال النووي: "ثم إن عائشة ﵂ لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ، ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات"..

---

(١) الشفا: (١/ ٢٠٠).

ثم قال ردًا على تأولها: "فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى لا تدركه الأبصار فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة، والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة.."[1]

قلت: وهذا الاعتراض منهم عجيب، فقد جاء مصرحًا في الصحيح: أن أم المؤمنين سألت النبي ﷺ عن تلك المسألة، وذلك حين استشهد مسروق بقول الله تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، فقالت: "أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين).."[2]

وقال الحافظ: "وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بهذا الإسناد، فقالت: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا، فقلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: (لا، إنما رأيت جبريل منهبطًا..)"[3]

قلت: وهذا يقطع بأن إنكار أم المؤمنين رضي الله عنها لم يكن مستنده الرأي والتأول فحسب.

ويمكن الفصل في هذه المسألة على النحو التالي:-

- إن هذه المسألة من الغيبيات التي تتطلب الدليل القاطع، ولا يصح الركون فيها إلى التأول والاحتمال والتسويغ العقلي.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٣ / ٥- ٦).

(٢) صحيح مسلم: (١٧٧/ ٢٨٧).

(٣) فتح الباري: (٨ / ٦٠٧).

– وإن الذين أجازوا الرؤية بالعين لم يجزموا بها، وإنما لم يستبعدوا وقوعها، وغاية مستندهم ما صح عن ابن عباس ﷺ أنه أثبت الرؤية بقوله: "أتعجبون أن يكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ"(١)

وروي عنه أيضًا: أنه سئل: هل رأى مُحَمَّد ربه؟ قال: نعم(٢).

وروي عنه أيضًا أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بعث إليه يسأله: هل رأى مُحَمَّد ﷺ ربه؟ فأرسل إليه ابن عباس: أن نعم(٣).

لكن الرؤية في كل هذه الآثار جاءت مطلقة، ليس فيها التصريح بأنها رؤية عينية، بل جاء نفيها عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن عطاء، يقول: إن عبد الله بن عباس، قال: «لم ير رسول الله ﷺ ربه بعينيه إنما رآه بقلبه»(٤).

---

(١) رواه الحاكم (٢١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٥)، واللالكائي (٩٠٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٧٨)، وابن أبي عاصم (٤٤٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٧٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٧٧٣٨)، وابن خزيمة (٢/ ٤٨١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٣٥)، وعبد الله بن أحمد (٥٦٣)، والطبراني في الأوسط (٤٧٦٧)، وغيرهم.

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٨١)، وعبد الله بن أحمد (٢١٧).

(٤) رواه الطبراني (١١٤٢١)، وذكر الحافظ أن ابن مردويه أخرجه أيضًا: فتح الباري: (٨ / ٦٠٨).

وعامة الآثار الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت مقيدة بأنها رؤية بالقلب، وعلى هذا يمكن حمل المطلق على المقيد بما يفيد أن الرؤية التي عناها ابن عباس وأثبتها هي الرؤية القلبية، قال أبو حاتم: معنى قول ابن عباس: قد رأى مُحَمَّد ﷺ ربه، أراد به بقلبه في الموضع الذي لم يصعده أحد من البشر ارتفاعًا في الشرف(١).

وبهذا يمكن الجمع بين القولين دون إسقاط أحدهما، كما قال الحافظ: "وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات بن عباس ونفي عائشة: بأن يُحمَل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب"(٢).

وقبله قال ابن تيمية: "فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة، أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى مُحَمَّد ربه، وتارة يقول: رآه مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية؛ وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق، ففهموا منه رؤية العين؛ كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد

---

(١) صحيح ابن حبان: (١ / ٢٥٤)، الحديث رقم (٥٧).

(٢) فتح الباري: (٨ / ٦٠٨).

من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل.."[1]

قلت: وهو ما يفهم من حديث أبي ذر ﷺ، قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه»[2]. وفي لفظ آخر: «رأيت نورًا»، قال أبو حاتم: معناه أنه لم ير ربه، ولكن رأى نورًا علويًا من الأنوار المخلوقة[3]. والله تعالى أعلم.

بقي أن نشير إلى أن الرؤية القلبية لا تعني مجرد العلم بالله، قال الحافظ: "لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه: أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه، كما يخلق الرؤية بالعين لغيره."[4] والله الموفق.

***

---

(١) مجموع الفتاوى: (٦ / ٥٠٩)

(٢) رواه مسلم (١٧٨)، والترمذي (٣٢٨٢)، وأحمد (٢١٤٩٨)، والبزار (٣٩٠٥)، وابن حبان (٥٨)، والطبراني في الأوسط (٨٣٠٠)، واللالكائي (٩١٨)، وغيرهم.

(٣) انظر صحيح ابن حبان: (١/ ٢٥٤)، حديث رقم (٥٨).

(٤) فتح الباري: (٨ / ٦٠٨).

دروس وعبر من حادثة الإسراء والمعراج

كانت حادثة الإسراء تسرية وتسلية للنبي ﷺ من جراء فقده أكبر مناصريه في الدنيا: زوجه خديجة رضي الله عنها، وعمه أبي طالب، كما كانت خير تكريم وتشريف له، برفعه إلى مقام لم يبلغه سواه أحد من البشر، بما فيهم الأنبياء عليهم السلام، وقد قدمه عليهم أيضًا في الصلاة حين أمهم ﷺ.

إذن فهذه الحادثة تجمع بين التسرية والتكريم لنبينا مُحَمَّد ﷺ برفعه مقامًا لم يبلغه أحد من العالمين، وهذه أفضلية له ﷺ تضاف إلى ما فُضّل به على سائر الأنبياء عليهم السلام، وقد كان كافيًا أن ينزل عليه القرآن تسلية وتسرية وتثبيتًا لفؤاده، لكن أراد الله عز وجل أن يرفعه مقامًا لم يبلغه أحد من قبله، ولن يبلغه أحد بعده حتى قيام الساعة، وهذا تفضيل له ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين، كما فضله عليهم بعموم رسالته إلى جميع الخلائق المكلفين، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، وقال جل شأنه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: ٢٨][(١)]. قال ابن جرير رحمه الله: "كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذبك"[(١)]، وقال ابن كثير: "وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠ / ٤٠٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣ / ٤٨٩).

عظمة ورفعة مقام العبودية لله عز وجل:

حادثة الإسراء تؤكد أن مقام العبودية لله أشرف المقامات، وأعز المنازل، وقد شرف الله تعالى نبيه ﷺ بهذا المقام، حيث قال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: ١]. وهذا واحد من ثمانية مواضع رفع الله تعالى فيها نبيه المصطفى وخليله المجتبى إلى هذا المقام الجليل، وبقية المواضع كانت:-

- قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة: ٢٣].

- وقوله جل شأنه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: ١].

- وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١].

- وقوله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } [الزمر: ٣٦].

- وقوله: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: ١٠].

- وقوله: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الحديد: ٩].

- وقوله جل وعلا: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن: ١٩].

فهذه ثمانية مواضع رفع الله جل وعلا نبيه المجتبى إلى أشرف مقام: مقام العبودية، فالعبودية لله عزة ورفعة، وعطاء وكرم، ومرتبة سامية لا ينالها إلا من وُفّق إلى طاعة الله تعالى، وفاز برضوانه، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ} [ص: ١٧]، وقال: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ} [ص: ٤١]، وقال جل شأنه: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا} [القمر: ٩]، وقال جل وعلا: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [ص: ٤٥]، وقال عز من قال: {امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ} [التحريم: ١٠]، {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣].

وهذا درس لنا بأن نتشرف بالانتساب إلى دين الله، واتباع شرعه، والسير على منهاجه دون خوف أو حياء، بل بعزة وكبرياء وشموخ ملؤه الثقة بأن دين الله غالب، وأن شرعه القويم منتصر، وأن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

***

❖ الثبات على المبدأ برغم المحن:-

نتعلم من حادثة الإسراء: الثبات على المبدأ مهما كانت الإغراءات، والتحديات، والعواقب، والشجاعة في الحق، ونطالع هذا في أمر النبي ﷺ وهو يسرد للناس وقائع معجزة الإسراء والمعراج وهو يعلم يقينًا أنهم سيكذبونه، ويسخرون منه، لكن لم يردعه ذلك.. وكذا نطالعه في أمر ماشطة فرعون التي

هُددت اشد التهديد، ثم بُطش بها وبأولادها أشد البطش، لم يصرفها ذلك عن إيمانها..

وقد أعطى النبي ﷺ المثل في الثبات على مبدئه من أول عهد الدعوة، حيث جرب معه مشركو مكة جميع وسائل الإغراء والترهيب لصرفه عن دعواه من أول ما صدع بها، فتارة يشكونه إلى عمه كي يردعه عما يدعو إليه، وتارة يعرضون عليه الملك والمال كي يرجع عن دعوته، وتارة يؤذونه بالسب والإيذاء البدني، وتارة يشنعون عليه ويتهمونه بالسحر والكهانة والكذب، وبالجملة ما تركوا شيئًا فيه ردع له، وصرف عن هذا الدين الذي يدعو إليه إلا فعلوه، وهو صامد أمام ذلك كله، لا يرجع ولا يستسلم لهم، حتى وهو يعاين إيذاءهم إياه وأصحابه الضعفاء.

إنه اليقين الذي تحلى به السحرة في مواجهة فرعون وهو يتوعدهم بقتلهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل، وهو قادر على إيقاع ذلك الوعيد بهم دون رادع، ومع ذلك جاء جوابهم عليه: {لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: ٧٢، ٧٣]، وهو أيضًا ذات اليقين والثبات الذي تحلى به أصحاب الأخدود وهم يلقون في النار، دون أن يصرفهم ذلك عن دينهم الحق!

ولهذا لما أتى الخباب بن الأرت ﷺ النبي ﷺ يشكو إليه ما لاقاه والصحابة الأولين ﷺ من أذى المشركين قال له النبي ﷺ: "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[1]. وقد كان ما أخبر به ﷺ..

وهذا كله نابع عن يقين بالله عز وجل، وإيمان راسخ بظهور هذا الدين على كل باطل نسجوه، وكل نار أوقدوها، وتصديقًا جازمًا بقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣٣]، وهذا هو اليقين الذي ينبغي أن يتحلى به أهل دينه وأتباع دعوته إلى قيام الساعة، وفي أشد حقب الضيق والمحنة، والله المستعان.

***

التصديق التام بالوحي وصحيح السنة النبوية المطهرة:-

كما نتعلم من حادثة الإسراء: التصديق بكل ما أنزل على النبي ﷺ، وثبت عنه بالوجوه الصحيحة، من البينات والشرع والهدي والغيبيات، مهما

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٢) ومواضع، والنسائي (٥٣٢٠)، وأبو داود (٢٦٤٩)، وأحمد (٢١٠٥٧)، وأبو يعلى (٧٢١٣)، وابن حبان (٢٨٩٧)، والطبراني (٣٦٣٨)، وغيرهم.

بعدت عن الأذهان، واستحالت في الواقع، وأنكرتها الأهواء.. ويمكننا أن نطالع ذلك في موقف الصديق أبي بكر ﷺ حين بلغه خبر الإسراء من المشركين أنفسهم، قالوا له: هل لك في صاحبك يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال لهم: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني أصدقه بأبعد من ذلك: أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: فبها سمي أبو بكر الصديق ﷺ[1].

وهو ذات الموقف الذي وقفه يوم الحديبية، والمسلمون في غم عظيم أمام شروط المشركين المجحفة، فيأتيه الفاروق عمر ﷺ ساخطًا مغتمًا، ويقول له: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى.

فقال عمر ﷺ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى.

قال عمر: فلِمَ نعطي الدّنيّة في ديننا إذن؟

فقال الصديق أبو بكر ﷺ في حزم وبأس: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق.

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٩)، كما أورده ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٢) وما بعدها، وعزاه لابن أبي حاتم، ولم أجده ثم. ولكن تصديق أبي بكر للنبي ﷺ في هذا الحادثة ثابت من غير وجه، فرضي الله عنه وأرضاه.

فقال عمر: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال أبو بكر: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به[1].

قارن بين موقف الصديق أبي بكر ﷺ وبين أقوام يفترض أنهم ولدوا على الإسلام، يطعنون في صحيح السنة لمجرد أن بعض أخبارها تخالف أهواءهم، ولا توافق عقولهم التي تشكلت على ثقافة الغرب، ويشنون الغارة على البخاري ومسلم، وتراث الأمة الزاخر دون هوادة، فلا يمضي عليهم نهار ولا ليل دون طعن وتشكيك وتشويه في السنة ونصوصها، وفي التراث وعلمائه، وفي دعاة الحق الذي يدافعون عن كل ذلك، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن الصديق ﷺ يعطينا المثل والنبراس الساطع في التصديق الجازم، واليقين الراسخ بصدق نبي الرحمة فيما يخبر به، وينقله عن ربه من الوحي الصادق، ويجب على كل مسلم أن يدين بذات الإيمان الجازم بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار، إذا توافرت فيه شرائط القبول المعروفة لدى العلماء، ولا يشكك لمجرد مخالفتها الهوى ومدارك العقول.

***

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١)، وأحمد (١٨٩١٠)، وعبد الرزاق (٩٧٢٠)، وابن حبان (٤٨٧٢)، والطبراني (١٣)، والبيهقي في الكبرى (١٨٨٠٧)، وفي الدلائل (٤/ ٩٩)، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما.

- اليقين التام بعظمة قدرة الله جل وعلا:

فما عاينه النبي ﷺ في ملكوت السماء دليل على عظمة قدرة الله تعالى، وعظيم سلطانه، وهو أعظم من تلك المشاهدات الطبيعية المعتادة حولنا، سواء ما عاينه في أبنية السموات، أو خلق الملائكة، أو السدرة، أو الجنة والنار، فلا شيء يعجزه جل وعلا، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

لذا على المسلم أن يعتني بخبر المعراج وتفاصيله الدقيقة للوقوف على مظاهر تلك القدرة وآثارها، فهي أرقى وأعظم من المشاهدات العادية، وفيها كسر لنواميس الكون المألوفة والمجربة، وإذا كان هذا قد أحدث فتنة في زمانه ﷺ فسخر منه أقوام، وارتد آخرون بعد إيمانهم به، إلا أنه سيكون للمؤمن زيادة في إيمانه، وقوة في تصديقه، وهذا شأن كل فتنة على الأرض، فإنها تقوي إيمان المؤمن الصادق، وتزعزع ضعيف الإيمان، كما في قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢]، بالرغم من أنه في ذات الموقف كان للمنافقين شأن آخر، إذ قالوا: {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: ١٢]، وكما في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا } [المدثر: ٣١].

وموقفنا من حادثة الإسراء والمعراج ما ثبوت الأخبار فيها ينبغي أن يكون موقف المصدق بها، والمتأمل في تفاصيلها ووقائعها، والمستشعر لعظمة قدرة الله جلا وعلا.

***

أصل الدين واحد، وإن اختلفت الشرائع:-

نتعلم من الإسراء: أن أصل الدين واحد، ودعوة الرسل واحدة، فكل نبي كان يستقبل نبينا ﷺ قائلًا: مرحبًا بالأخ – أو الابن – الصالح، والنبي الصالح، وكلهم اصطفوا خلفه ليؤمهم في الصلاة، وقد قال النبي ﷺ فيما صح عنه: "الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد.."[(١)]. والإخوة العلات: هم الذين يشتركون في الأب، والمراد به أصل الدين والتوحيد، وأصول الشرائع، وكان الاختلاف بينهم في الفروع فحسب، نظرًا لاختلاف الأزمان والمنح الربانية بين أمة وأخرى..

ولهذا جاء استعمال الجمع في قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥]، {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٢٣]، {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٤١]، وما شابه ذلك من الآيات، قال القرطبي رحمه الله: "من كذب نبيّاً فقد كذب الأنبياء كلهم، لأنهم على دين واحد في الأصول، فلا يجوز التفريق بينهم"[(٢)]. ومن ثم امتازت هذه الأمة بإيمانها بجميع

---

(١) رواه مسلم (٢٣٦٥)، وأحمد (٨٢٤٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرطبي (١٠ / ٤٦).

الرسل جملة، من قُصَّ علينا خبره، ومن لم يُقَصّ، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر: ٧٨]، ومن ثم أيضًا كانت هذه الأمة أولى بأولئك الأنبياء والمرسلين من أممهم، كما جاء في حدث ابن عباس ﷺ: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»(١).

ولا شك أن إمامة نبينا مُحَمَّد ﷺ لجميع الأنبياء ببيت المقدس هو خير تجسيد وترسيخ لتلك الوحدة في الدين، وتلك الأولوية، فصلوات ربي وسلامه على كافة أنبيائه ورسله.

***

❦ الإسلام دين الفطرة:-

ومن دروس الإسراء: الإسلام دين الفطرة، وكل ما فيه من العقائد والتشريعات والأخلاق توافق الفطرة الإنسانية، فهو الدين الذي يلبي نوازع الفطرة في توازن بين الروح والجسد، والمصالح والمفاسد، والدنيا والآخرة، وهذا من أهم أسرار سرعة انتشار الإسلام، وإقبال الناس عليه، رغم ما يوضع أمامه من عوائق وعقبات، والتشويه والتضليل. قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٣٠]

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٠) ومواضع، ومسلم (١١٣٠).

فإن الرهبانية النصرانية اهتمت بشأن الروح، وأفرطت فيه على حساب البدن، فعزفوا عن الزواج، وجنحوا إلى العزلة عن الناس، وتلقف المتصوفة من أمتنا تلك الطريقة عنهم، وزادوا عليها ما أسموه بالرياضة الروحية، وتعذيب النفس بزعم مجاهدة الشهوات، والارتقاء إلى مدارج الكمال، واتخذوا ذلك مسوغًا للفقر والاحتياج، والعيلة على الآخرين، والتفلت من مسئوليات الحياة، ومتطلبات العيش.

وعلى النقيض من ذلك: أولئك المتنصلون من تعاليم الدين، والمتحررون من أحكامه تحت مزاعم التمدن ومواكبة العصر، الذين حصروا علاقتهم بربهم ودينهم في بعض الطقوس التعبدية داخل جدران المساجد والمعابد، وخلع عباءة الأديان في كافة معاملاتهم وسلوكياتهم خارج تلك الجدران، لينطلقوا لتوفير متطلبات البدن وإهمال الروح، وكأن الإنسان لا هم له إلا إشباع غرائزه ونزواته الجسدية، ولا غاية له من الحياة سوى هذا، والله المستعان.

والحقيقة: أن من يتصور أن بلوغ السعادة أو الكمال يدرك بإعراض الإنسان عن غرائزه ومتطلبات جسده، فقد جهل حقيقة الإنسان، وغفل عن قانون الخِلقة المتقن، ومنهج الفطرة السليمة؛ فإن الله تعالى خلق البشر مع هذه الغرائز والاحتياجات الجسدية، وكل ما أودع الله الحكيم في خلقة الإنسان لا بد أن يكون ذا مصلحة، فسعي الإنسان للمأكل والمشرب ولغريزة الجنس وغير ذلك من متطلبات واحتياجات الجسم، متوافق مع فطرته وخلقته، يقول تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ

آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٢].

وأما من يتصور أن بلوغ السعادة والكمال يدرك بإهمال جانب الروح، والانخراط في إشباع غرائز الجسد ونزواته فإنما يسلب الإنسان إنسانيته وقيمه ومبادئه، ويجعله كائنًا أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان، وما نراه اليوم في المجتمعات التي انفلتت من تعاليم الدين من انتشار الجرائم والخيانة والانتحار وغيرها، خير شاهد على بطلان هذا المسلك.

وهكذا يحقق الإسلام التوازن بين المسلكين، لأنه لا يهمل احتياجات الروح ولا البدن، لأن نظرة الإسلام لرقي الإنسان وسعادته تكمن في تحقيق ذلك التوازن والتكامل، والأخذ بنظر الاعتبار جميع جوانب الإنسان المادية والمعنوية، الروحية والجسدية، والله الموفق والمستعان.

***

الصلاة الركن الأعظم:-

ومن دروس الإسراء: تعرف أهمية الصلاة ومنزلتها، فهي الركن الوحيد الذي فرض في السماء مباشرة بين الله تعالى ورسوله الأمين ﷺ، لم يهبط بأمرها الوحي، وهذا تشريف لها كعبادة، وتشريف للأمة العاملة بها، والمقيمة عليها، وبيان لعظم فضيلتها وأجرها، قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ

يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج: ١٩ - ٣٥]، فبدأ – جل وعلا – سياق ثنائه على المؤمنين المخلصين بالثناء على صلاتهم، وختمه أيضًا بالثناء عليها.

وقال النبي ﷺ: "اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة"(١)، ولما سئل عن أحب الأعمال إلى الله، قال ﷺ: "الصلاة على وقتها"(٢)، وكان آخر كلامه ﷺ ووصيته عند موته: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»(٣).

ومن ثمرات الصلاة أنها مكفرة الذنوب ماحية الخطايا، قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]، وقال النبي ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٧٧)، وأحمد (٢٢٣٧٨)، والدارمي (٦٨٢)، وابن حبان (١٠٧٣)، والطبراني (١٤٤٤)، والحاكم (٤٤٨)، والبيهقي في الشعب (٢٤٥٩)، عن ثوبان ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٥٢٧) ومواضع، ومسلم (٨٥)، عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجة (٢٦٩٨) وهذا لفظه، وأحمد (٦٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٥٨)، وغيرهم عن علي ﷺ.

خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»[(١)].

كما أن الصلاة من أهم أسباب تفريج الكربات، قال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]، وكان ﷺ – كما ثبت من حديث حذيفة ﷺ – إذا حزبه أمر صلى[(٢)].

وفي الصلاة رفع الدرجات في الجنة، كما قال النبي ﷺ لثوبان مولاه: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»[(٣)].

ومن فضائلها: تحريم الأبدان على النار، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: "..... حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة: أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٢٣٢٩٩)، والبيهقي في الشعب (٢٩١٢).

(٣) رواه مسلم (٤٨٨)، والنسائي (١١٣٩)، والترمذي (٣٨٨)، وابن ماجة (١٤٢٣)، وأحمد (٢٢٣٧٠)، وغيرهم.

(٤) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

والصلاة من أعظم أسباب رؤية الله عز وجل يوم القيامة، لقول النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»[(١)].

والحديث عن فضائل الصلاة وجزاء المصلين يطول، وهي نور وبرهان للعبد في الدنيا والآخرة، بل هي فرقان ما بين المؤمن ومن سواه، وحادثة الإسراء والمعراج خير دليل على علو منزلتها في الإسلام، وهي مبتدأ فرضها على المسلمين، والله الموفق.

***

الاتعاظ بالأمم السابقة، والإفادة من تجاربهم:-

ومن دروس الإسراء: الاستفادة من تجارب الآخرين، ووقائع الأمم السابقة، فهذا موسى عليه السلام يطالب نبينا ﷺ بسؤال ربه التخفيف من عدد الصلوات قائلًا: "قد جربت الناس قبلك وإني عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لن يطيقوا ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك"[(٢)].

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على التأسي بمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام، كما كان حريصًا على تجنيب أمته زلل الأمم السالفة وقصورها، فاستجاب لنصح موسى عليه السلام، وجعل يتردد على ربه سائلًا التخفيف

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤) ومواضع، ومسلم (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) طرف من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، وقد تقدم تخريجه.

حتى اقتصرت على خمس صلوات في اليوم والليلة، واستحيا من ربه أن يخفف أكثر من ذلك، وهذا أيضًا من شفقته بأمته صلوات ربي وسلامه عليه.

***

بعد العسر يسر، والفرج بعد الكرب:-

ومن أهم وأعظم دروس الإسراء: أن من المِحَن تولد المِنَح، والفرج بعد الكرب آتٍ بأمر الله تعالى، فحادثة الإسراء وقعت للنبي ﷺ في فترة عصيبة من الدعوة، وكان المسلمون قلة تحت سطوة المشركين، كما وقعت في عام امتلأ بالحزن على فقد الأحباب والمناصرين: عمه أبي طالب الذي طالما دفع عنه المشركين، وزوجه خديجة التي صدقته في دعوته، وواسته بنفسها ومالها، رضي الله عنها وأرضاها، فجاءت الحادثة العظيمة على سبيل التشريف والتكريم له، مع التسلية والتسرية عنه ﷺ.

ولو تتبعنا المحن التي ألمت بالدعوة وبالمسلمين منذ بدأ الأمر لوجدنا عقب كل محنة عظيمة منحة أعظم وأكرم، فمن كان يتصور – حينذاك – أن هذا الجمع القليل من المسلمين الذين يتسللون سرًا إلى دار الأرقم ﷺ كي لا يراهم أحد سيسودون العالم أجمع بعد سنوات قليلة؟

ومن كان يتصور حينذاك أن هؤلاء المحاصرين بالمدينة عام الأحزاب، يخشى أحدهم أن يذهب إلى الغائط، سيفتحون كنوز كسرى؟

ومن كان يتصور حينذاك أن الذي قبلوا شروط المشركين الغاشمة في الحديبية، وكان عددهم ألفًا وأربعمائة رجل، ليس على وجه الأرض مسلم

سواهم عدا النساء والصبيان، سيقبلون بعد أقل من عامين ليفتحوا مكة وقوام جيشهم عشرة آلاف مقاتل؟

إن المِحن دائمًا تخفي في طياتها الظفر والنصر، إذا قابلها المؤمن بالصبر والثبات واليقين الراسخ، قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود: ٤٩]، وقال جل شأنه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]، نسأل الله العلي القدير أن يفرغ علينا صبرًا، وأن يقر عيوننا بنصر المؤمنين وهلاك الظالمين.

***

- الأقصى ميراث الأمة الإسلامية:-

ومن دروس الإسراء: أن الأقصى إرث الأمة الإسلامية، فالرحلة الأرضية كانت إليه، والعودة منه، والرحلة السماوية ابتدأت به، وانتهت إليه، فهو منتهى الإسراء، ومبتدأ المعراج، وأول قبلة للمسلمين، وفيه كانت إمامة نبينا مُحَمَّد ﷺ لبقية الأنبياء عليهم السلام، وقد سماه المولى عز وجل في كتابه مسجدًا، لا كنيسة ولا معبدًا، فقال جل شأنه في محكم التنزيل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء: ١]. نسأل الله أن يرده إلى أهله، ويخذل اليهود المجرمين، ويرينا فيهم عجائب قدرته. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

***

- دعوة الحق في مقابل دعاية الباطل:-

ومن دروس الإسراء: الدعاية المضللة في مواجهة الحق دأب المبطلين من أول الزمان، وحتى قيام الساعة، فمنهجهم وديدنهم دائمًا تشويه الإيمان وأهله، والسخرية منهم، فهذا أبو جهل عليه من الله ما يستحق يأتي بنفسه ليسأل النبي ﷺ عن الخبر، فلما أخبره النبي ﷺ بخبر الإسراء وجدها فرصة، وقال عدو الله: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟! فقال رسول الله ﷺ: "نعم". فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي! فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، فقال عدو الله: حدث قومك بما حدثتني[1]. ثم مضى يسخر من الحديث ويتندر به بينه وبين قومه، وكان من بين ما قال: يخوفنا مُحَمَّد بشجرة الزقوم، هاتوا تمرًا وزبدًا فتزقموا![2].

وهذا الذي فعله أبو جهل هو دأب المبطلين في كل زمان ومكان، الاستهزاء بالحق، والسخرية من أهله، وتكذيبهم فيما أوتوه من الهدى، فها هو فرعون يهزأ بموسى عليه السلام وبلثغته، فيقول: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} [الزخرف: ٥٢]، ويشنع عليه محرضًا قومه على مساندته في ردعه: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر: ٢٦]، وهذه من الدعاية المضللة ضد دعاة الحق.

---

(١) رواه أحمد (٢٨١٩)، وابن أبي شيبة (٣١٧٠٠)، والطبراني (١٢٧٨٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٦٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد (٣٥٤٦)، والنسائي في الكبرى (١١٤٢٠)، وأبو يعلى (٢٧٢٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقبله قال قوم نوح عليه السلام لنبيهم: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأعراف: ٦٠]، وقالت عاد لنبيها هود عليه السلام: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [الأعراف: ٦٦]، وما من نبي بعث في أمة من الأمم إلا طعن فيه كفارهم، وسخروا منه ومن دعوته وأتباعه، واتهموه بالسحر والكذب والجنون وما شابه ذلك من الأوصاف الذميمة التي تليق بهم لا بأنبيائهم ولا أتباعهم، وعمدوا إلى تلك الدعاية المضللة لتشويه الحق وتكديره، {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات: ٥٢، ٥٣] قال ابن عطية: "{أَتَوَاصَوْا بِهِ}: توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة في تكذيب الأنبياء على تفرق أزمانهم، أي أنهم لم يتواصوا، لكنهم فعلوا فعل من يتواصى، والعلة في ذلك أن جميعهم طاغ"(١).

وهكذا ترى دعاة الحق دومًا متهمون في جميع الأمم والأزمان، ويتم تشويههم وجرحهم والطعن فيهم من قبل أهل الباطل، بجانب السخرية والاستهزاء بهم، وذلك لانتقاص مقامهم وهيبتهم، وصد الناس عن التأسي بهم، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ } [المطففين: ٢٩ - ٣٢].

---

(١) المحرر الوجيز: (٥ / ١٨٢).

نسأل الله العلي القدير أن ينصر الحق وأهله، وأن يفرج الكرب ويكشف الغمة عن عباده المؤمنين، وأن يبدل خوفهم أمنًا، وعسرهم يسرًا، وأن يهلك الفجار والكافرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والدروس والعبر من الإسراء كثيرة جدًا، هذا غيض من فيض، وقبس من نور الإيمان والهدى، أسأل الله أن ينفعني به وسائر المسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

جابر القصاص

الأقصر – جمهورية مصر العربية

الخامس من رجب سنة ١٤٤١هـ

فهرس المحتوى

تقديم	١
معنى الإسراء والمعراج	٣
هل كان الإسراء والمعراج في ذات الليلة؟	٤
هل كان الإسراء والمعراج مرة واحدة أم أكثر؟	٦
هل كان الإسراء والمعراج يقظة أم منامًا؟	٨
الأدلة على كون الإسراء والمعراج في اليقظة	١٠
شبهات المنكرين لوقوع الإسراء والمعراج في اليقظة	١٢
متى وقعت حادثة الإسراء والمعراج؟	١٨
وقائع الإسراء والمعراج	٢٤
تنبيه: حول حديث المنام	٣١
هل رأى النبي ﷺ ربه تلك الليلة؟	٣٥
دروس وعبر من حادثة الإسراء والمعراج	٤١
فهرس المحتوى	٦١